مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 7 العدد 2 / ديسمبر 2021
ص ص 259-269

آليات اشتغال المفارقة في القصة القصيرة جدا
قراءة في مجموعة "جلالة عبد الجيب " للسعيد بوطاجين

The Mechanisms of Paradox Work in the Very Short Story
A Reading in the "Jalalat Abdel-Jib" Collection by Said Butajine

منير موراس
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02
mpromouras@gmail.com

الاستلام:2021/09/21 القبول:2021/11/17 النشر: :2021/12/31

ملخص:

تعد القصة القصيرة جدا جنسا أدبيا سرديا جديدا، يمثل بوضوح المعالم الأدبية الجديدة في مرحلة ما بعد الحداثة التي تعطي اعتبارا للتنوع والاختلاف والتفكيك والتكثيف والمفارقة ،والتي تسعى إلى تجاوز التصورات العقلية ومفهوم الذات العاقلة باعتمادها خطابا متنوعا يخترق الحقول المعرفية والثقافية ،ويمنح أهمية بالغة للغة العاكسة لطرق تفكيرنا وإدراكاتنا ومفاهيمنا ، هذه اللغة المسايرة لإيقاع العصر الذي اقترن فيه الإبداع الأدبي بثورة المعلومات الجانحة إلى سرعة الحصول على المعلومة، والتنوع في أساليب القول وطرائق العرض نتيجة التسارع التكنولوجي الكبير الذي مر بالعالم وما أحدث فيه من تغيرات عميقة على عديد الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وبالتالي تغيير شكل الخطاب الذي أنتج سردا بديلا عن السرد القديم الطويل الذي حل محله سرد قصير اعتمد الاقتصاد والكثافة، ووظف سمات جديدة لبت حاجات المتلقي بأيسر السبل .

يتأسس هذا البحث على قسمين: نظريٌ ناقش الاشكالات والرؤى والمواقف المقترنة بالقصة القصيرة جدا، وانفتح على مناقشة إحدى قضايا إفرازات ما بعد الحداثة المتمثلة في المفارقة ، وقسم تطبيقي ركز على هذه الأخيرة باعتبارها خاصية ومكونا بارزا للقصة القصيرة جدا من خلال العمل على المجموعة القصصية " جلالة عبد الجيب " للقاص الجزائري السعيد بوطاجين.

الكلمات المفتاحية : القصة القصيرة جدا ، المفارقة ، السخرية ، التجريب .

Abstract:

The “very short story” is considered as a new type of narrative literacy which clearly represents the new literacy features in the postmodern period that gives consideration to diversity, difference, disassembly, condensation and paradox; which seek to transcend reasonable perceptions and rational self-concept by adopting a diverse discourse that exceeds the knowledgeable and cultural fields and gives great importance to the reflective language of our ways of thinking and perceptions and our concepts. This language is keeping the pace of the rhythm of the era in which the creative literacy is associated with the revolution of information that is inclining to the rapid access to information and diversity in the methods of speech and presentation approachesdue to the great technological acceleration that has passed through the world and the profound changes that have taken place on many political, social and economic levels, and thus changing the form of discourse that has produced an alternative narration of the old long narration that has been replaced by a short narration that

has adopted economy and density and employed new attributes to meet the needs of the recipient in the most accessible ways.
This research is based on two parts: (i) a theoretical discussion of the problems, visions and attitudes associated with the very short story and has been opened to discuss one of the postmodern issues represented by the paradox and (ii) an applied section focusing on the paradox as a characteristic and a prominent component of the very short story by working on stories collection "His Majesty the slave of the pocket" "Jalalat Abdel-Jib" of the Algerian narrator Essaïd Boutajine.

Keywords: The very short story, the irony, paradox, experimentation.

1. توطئة

يتفق كثير من الباحثين في أن النصوص التي كتبت لنفسها الخلود كانت عبر كل الأزمنة ، تلك النصوص التي أحدثت خرقا للمألوف وللعادي في الأشكال الجمالية وفي اللغة بتراكيبها ومضامينها المعنوية، بل خرق لكل ما استقرت عليه حقول الأدب من تطور وإبداع ، وإذا ما جئنا إلى ما تفرضه الحضارة المعاصرة اليوم ؛ فإننا سنجدها على المستوى الإبداعي دافعة إلى إنتاج جملة من الإشكالات في تلقي أي إبداع جديد يحمل سمات جنس أدبي جديد ، ووقوفنا على السرد باعتباره احتياجا إنسانيا يتواصل الإنسان من خلاله مع الآخر؛ سيدفعنا للنظر في القصة القصيرة جدا التي جاءت استجابة لمتغيرات كثيرة لامست شكل خطاب القص الجديد وسايرت إيقاع تسارع الزمن تماشيا مع المتلقي المعاصر، فتشكلت بالصورة التي هي عليها الآن وصيغت بطريقة حملت سماتا خاصة بها ،فحافظت على جمال تركيبها وتكثيفها وكمال معناها.

2. القصة القصيرة جدا و إشكالية التجنيس :

أوجدت القصة القصيرة جدا لنفسها ، مكانة بين الأشكال الأدبية المعاصرة - برغم حداثتها - مقارنة بالأشكال الأخرى إذ تعد من أكثر الأجناس إثارة للأسئلة ومن أقدرها على صنع التعبير المناسب عن المتغيرات المتسارعة للحياة اليومية المعاصرة ، مقارنة بحجمها القصير وبما تحمل من تقنيات فنية وجمالية ، وما يجب الإشارة إليه أنه ليس كل نص قصير الحجم يمتاز بالإيجاز يعتبر "قصة قصيرة جداً؛ فالذي يعطي للنص انتماءه إلى فن القصة القصيرة جدا، هو التكثيف اللغوي المحمل بالشاعرية، إضافة إلى الخصائص الجمالية، والأركان و التقنيات الفنية التي يمارسها القاص في بناء نصه القصصي، الذي يدفعه في النهاية إلى إنتاج قصة قصيرة جداً .

ولعل هذه السمة التي جعلت من هذا الجنس الجديد واحدا من فروع القص إلى جانب القصة والرواية والقصة القصيرة، دفعت بالنقاد والمهتمين إلى البحث في أصوله ومنشئه ومحاولة تجنيسه أدبيا ما أفضى عن آراء متضاربة تراوحت بين القبول والرفض والحياد، فنتجت مواقف إيجابية دافعت عن القصة القصيرة جدا واعتبرتها " الجنس الأدبي المفضل والصالح للمستقبل (أحمد جاسم الحسين، ويوسف الحطيني، وجميل حمداوي، وعبد الدائم السلامي، وجاسم خلف إلياس، وعبد العاطي الزياني...". (الحمداوي ، 2016 ، ص 04) ومواقف سلبية تبناها بكثرة كتاب الرواية والقصة القصيرة فوقفوا موقف الممانعة رافضين هذا الجنس جملة وتفصيلا ، ومواقف بقيت وسطا لم تفصح عن آرائها صراحة ولم تبد الرفض أو التأييد وفي هذا تقول سعاد مسكين "...وصنف مازال يطرح الأسئلة، ويغامر في وضع ملامح لا أركان ثابتة للقصة القصيرة جدا(سلمى براهمة، وسعاد مسكين)، ربما يعود الأمر إلى كون محور الاشتغال كان بهم الجمالية، وترى الباحثتان أن الجمالية القصصية أمر مبكر على القصة القصيرة جدا بدعوى أننا لم نحسم بعد في جماليات القصة القصيرة، فما بالك بهذا النوع

السردي الجديد" (مسكين، 2011، ص 41-42) . وهذه الآراء المتضاربة أفضت في الوقت نفسه إلى تسميات متباينة الهدف منها وصف هذا الشكل القصصي ، فسميت : القصّة الومضة ،السريعة ،الضامرة المفاجئة ... ، وهي في الحقيقة مسميات تصف البناء الشكلي وتعطي تصورا بمحدودية البناء الكلي للقصة ، وإن خضنا مضمار الحديث عن هذا النوع من القص فسيقودنا هذا بداية إلى بعض الآراء التي تعيد منشأ القصة القصيرة جدا إلى أصول قديمة جدا تمتد إلى البابليين والسومريين والآشوريين ،وآراء ترى هذا الجنس تحديثا أو تطويرا لفنون تراثية تدخل ضمن نوع أدبي فرعي،" له أصول يتكئ عليها، ويَستمد وجوده منها: كالنادرة والطرفة والخبر والأسطورة والخرافة والحكمة والمثل والحكاية الشعبية والمقامة وغيرها، بتأثيث سردي يقترب أو يبتعد بحسب قدرة القاص على ذلك" (خلف إلياس،2010 ، ص200) . في حين يرجع آخرون منشأها إلى أمريكا اللاتينية مع "إرنست همينغواي" (Ernest Miller Hemingway) سنة 1925م، حينما أطلق على إحدى قصصه مصطلح :"القصة القصيرة جدا"، وكانت تلك القصة مكونة من ثماني كلمات فحسب:" للبيع، حذاء لطفل، لم يلبس قط". ، وكان يعتبر هذا النص أعظم ماكتب في حياته الإبداعية.(الحمداوي،2011، ص12) بينما يعد الكاتب الغواتيمالي أوجستو مونتيروسو(Augusto Monterroso) أول من كتب أقصر نص قصصي في العالم تحت عنوان:" الديناصور" المكون من سبع كلمات حين قال " حينما استفاق، كان الديناصور مايزال هناك"(Cuando despertó, el dinosaurio todavía estaba allí.). وتتكون هذه القصة القصيرة جدا من سبع كلمات فقط. و في سنة 2005م، كتب الكاتب المكسيكي لوي فيليبي لومولي (Luis Felipe Lomelí) قصة قصيرة جدا في أربع كلمات، وهي:"هل نسيت سيدي شيئا ما؟ما شاء ربي! (¿Ojalá?Olvida usted algo) لكن هناك من يرى بأن القصة القصيرة جدا لم تظهر بأمريكا اللاتينية إلا في سنة 1950م بالأرجنتين ، وذلك مع مجموعة من الكتاب، مثل: بيوي كازاريس (Bioy Casares) وجون لويس بورخيس(Jorges Louis Borges) اللذان أعدا أنطولوجيا للقصة القصيرة جدا ، وكانت هذه القصص القصيرة والعجيبة جدا تتكون من سطرين فقط " (الحمداوي ، 2011 ، ص12) وبعد ذلك انتشر هذا اللون الجديد بشكل ملفت في أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية، وفي العالم العربي ، عن طريق الترجمة والمثاقفة وعمليات التأثير و التأثر وزادت وسائل الاتصال الجديدة في سرعة الانتشار ،وقبل ذلك لا يمكن أن ننسى بأي حال من الأحوال بعض كتاب الرواية الجديدة ،الذين مالوا إلى التجريب ، وتغيير بنية السرد والحكي، مسايرة لحداثة القص والرواية الجديدة . لنجد "نتالي ساروت" (Nathalie Sarraute) الكاتبة الفرنسية تكتب نصا قصصيا قصيرا جدا سنة 1932 عنونته ب: انفعالات (Tropismes). وكان هذا العمل أول محاولة موثقة علميا لبداية القصة القصيرة جدا بأوروبا، وأصبح نموذجا يحتذى به في الغرب. وترجم هذا النص الإبداعي الجديد إلى العربية في أوائل السبعينيات من القرن العشرين على يد الباحث المصري فتحي العشري.

وإن حديثنا عن الجذور التاريخية ومناقشة وجودها من عدمها لن يرتقي إلى البحث في تاريخ التشكل الفعلي للملامح والسمات الجديدة التي اثبتت هذه الصورة التي هي عليها الآن والتي أفردتها بكونها جنسا أدبيا جديدا يحمل مقوماته وشروطه وأركانه وخصائصه المميزة.

3. جدل المفهوم والمصطلح

لقد أورد يوسف حَطّيني ، في كتابه "دراسات في القصة القصيرة جداً"، أن الدارسين لم يتفقوا ولم يوفقوا في وضع تعريف يمكّننا من صياغة

مفهوم واضح لهذا الشكل الجديد ،على غرار الأشكال الأدبية الموجودة ، ثم يجتهد في تقديم تعريف استنبطه من نظره في أركانها وتقنيات كتابتها فرآها الباحث جنسا سرديا قصيرا جداً " يتمحور حول وحدة معنوية صغيرة، ويعتمد الحكائية والتكثيف والمفارقة، ويستثمر الطاقة الفعلية للغة ليعبّر عن الأحداث الحاسمة، ويمكن له أن يستثمر ما يناسبه من تقنيات السرد في الأجناس الأخرى"(حطيني، 2014 ، 108). ويرى محمد محيي الدين مينو، أن " القصة القصيرة جداً حدث خاطف، لبوسُه لغةٌ شعرية مرهفة، وعنصره الدهشة والمصادفة والمفاجأة والمفارقة"(مينو ، 2012 ، ص43) ، في محاولة منه الوقوف على الخصائص المميزة لهذا الفن، والمنسجمة مع طبيعة كتابته ، وزيادة على هذا يضيف جميل الحمداوي بعض الخصائص التقنية والسمات فيؤكد أن : "القصة القصيرة جداً جنس أدبي حديث قصير الحجم ، فيه إيحاء وكثافة ، وانتقاء موفق، موحد المقطع، مفعم بنزعة قصصية موجزة، ومقصدية ورمزية ، مع تميزه بخاصية التلميح والاقتضاب والتجريب ونفَس قصير ينبض بالحركية دافع إلى تأزم المواقف والأحداث إضافة إلى سمات الحذف والاختزال والإضمار. مع التركيز على بلاغة الإيحاء والانزياح والخرق الجمالي. وتنويع الصيغ السردية بتهجين الأسلوب المحاكاة مع تصغير الحجم (الحمداوي ،2011 ، ص08) ".

وبهذا يتضح مدى اختلاف النقاد والدارسين في تصوراتهم لمفهوم القصة القصيرة جدا ، وانطلاقا من التعريفات السالفة التي تعبر عن رؤى وتصورات فإنه لا يمكن الامساك بتعريف نهائي جامع " لعدم اكتمال صورتها لتستوي على سوقها جنسا أدبيا قائم الذات ذا خصوصيات وقوانين مميزة ، بل إنها ما تزال في طور التكون والتشكل ، باحثة عن موطئ قدم لها داخل السوق الأدبية " (أمعضشو ، 2012 ، ص89) ، ومن هنا يمكننا تسجيل بعض الملحوظات المفاهيمية التي تمكننا من مناقشة بعض الاشكالات والقضايا انطلاقا من المصطلح الذي أطلقه النقاد للتعبير عن مفهوم القصة القصيرة جدا، فقد تعددت التسميات بتعدد الرؤى خاصة وأنه مفهوم جديد انتقل في أغلب الظن عن طريق الترجمة .

لقد عد أحمد جاسم الحسين سبعة عشر مصطلحا صنفها في كتابه وفق ثلاث شعب وهي كالآتي :(جاسم الحسين، 2013، ص 43-54) .

أ . مصطلحات مرتبطة بالزمن : كالقصّة الجديدة ، والقصّة الحديثة ، والحالة القصصية، والمغامرة القصصية ، وهذه المصطلحات زالت بفعل التقادم .

ب . مصطلحات مرتبطة بأجناس فنية: وهي اللّوحة القصصية، والصورة القصصية ، والنكتة القصصية ، والخبر القصصي ، والشعر القصصي ، والخاطرة القصصية. و جميعها تشترك مع فنون أخرى ، وتظهر صفة (القصصية) وتعمل على إبرازها .غير أنها تؤكد على فنون أخرى أكثر من تأكيدها على القصصية

ج . مصطلحات تحمل دلالات وهي : القصّة القصيرة جدّا ، والقصّة الومضة ، والقصّة اللقطة ، والقصّة القصيرة للغاية ، والقصّة المكثّفة ، والقصّة الكبسولة ، والقصّة البرقية. وتشترك مجتمعة في دلالة السرعة وصغر الحجم. واقترح محمد يوب مصطلح " الأقصودة" ومصطلح " الأقصة" بوصفها جامعة للنثر والشعر فقد اعتبرها ميالة لقصيدة النثر وبالتالي هي نوع من الشعر ورآها تنزاح للقص وبالتالي هي نثر(يوب ، 2011، ص70)

وأطلق آخرون تسميات أخرى مثل القصص المينيمالية ،والتخييل المينيمالي، والقصص المختزلة، والقصة الشذرة ... ،ربما كان الهدف تطويق هذا الإبداع الجديد تنظيرا وكتابة والإحاطة بكل جوانبه الفنية والدلالية ، وإن

تتبعنا لكثير من الدراسات النقدية جعلنا نلحظ تفضيل مصطلح القصة القصيرة جدا وشيوعه وأن المصطلحات الأخرى لم تكن مناسبة لعدم قدرتها على استيعاب الأركان والشروط التي اتفق فيها كثير من النقاد ،" وقد أورد جميل حمداوي رأيا صريحا في تفضيله لمصطلح القصة القصيرة جدا نظرا لإجرائيته التطبيبقية والتنظيرية ، دون الدخول في سجالات جدلية ونقاشات عقيمة ، داعيا المبدعين إلى التمسك بهذا الأخير لأنه يعبر عن المقصود بدقة ووضوح معللا ذلك بوجود ملمحين أساسيين وهما قصر الحجم والنزعة القصصية كما أنه يترجم المصطلح الإسباني المعبر عن هذا الجنس الجديد في مجال السرديات الأدبية (microrrelatos) ، الذي يعني المحكي القصير جدا ، أو السرد القصير جدا ، أو القصة القصيرة جدا "(الحمداوي، 2016 ،ص 81 – 82)

وعن تعدد التسميات واختلافها يرجع أحمد جاسم الحسين ذلك إلى أربع نقاط حصرها في مجافاة التجديد بداية والحرص على التفرد عن الآخر عبر استعمال مصطلحات خاصة وهذا قد لا يخص هذا الجنس الجديد فقط وتحدث عن نقطتين تخصانه أساسا وتحملان الكثير من التناقض الأولى هي محاولة الإساءة إليها والانتقاص من قيمتها ، والثانية الرفع من شأنها عبر نسبتها إلى أجناس وفنون أخرى (جاسم الحسين ، 2013 ، ص51)

ليخلص إلى أن مصطلح القصة القصيرة جدا لم يطرح في الساحة الأدبية ليكون لونا مبتدعا أو جنسا أدبيا جديدا رغم أن الإبداع كان جليا في كلمة جدا التي أثارت جدلا واسعا صعب الحسم فيه .

إن مصطلح "القصة القصيرة جداً" استطاع أن "يثبت نفسه كأبرز المصطلحات وأكثرها دلالة بما تضمنه من دلالات فنية ونقدية..." (جاسم الحسين ، 2013 ، ص53) .وإنه يعبر بشكل مقبول على هذا الجنس الذي فرض نفسه على واقع الحركة الأدبية حيث اكتسب ملامح ومميزات وسمات، وحمل من المقومات ما يمنحه مشروعية البقاء والسير إلى جنب الأجناس الأدبية الأخرى ،هذه المقومات التي اختلفت بين النقاد غير أنها اشتركت في ثلاثة أركان رئيسة وهي التكثيف والحكائية والمفارقة ،حيث سنتحدث على هذه الأخيرة كونها مدار اتفاق وأهمية في تحديد شكل ودلالة هذا الجنس الجديد.

4. مفهوم المفارقة :

تعد المفارقة من التقنيات السردية التي تنظم بناء الحدث بحيث يتطور في مسار يخالف النهاية المقصودة التي نكتشفها في الختام، إنها تقنية تحاول تنظيم هذا التناقض الذي يهيمن على حياتنا، فتغدو الحقيقة دائما مخالفة لما نتوقعه أو لما ينبغي أن يكون، وكأنها لعبة محبطة تبني لدينا فهما معينا ثم تخيبه في النهاية بعكس المتوقع إنّ الدلالة اللّغوية للمفارقة في لسان العرب فارقَ الشَّيءَ مُفَارَقَةً وفا رقاً : باينه)(ابن منظور ، 1997 ، ص 120-121) (فالمفارقة تعني التفريق والمباينة).

وإذا جئنا للقصة القصيرة جدا فسنلحظ أن خاصية المُفارقة فيها حظيت باعتراف جلّ منظريّ هذا الشّكل السّردي؛ بل وجل كتابه واعتبروها ركنا أساسا في بنيتها القصصية بل وجعلوها من أكثر الخصائص فاعلية في تجميل كتابة هذا الجنس الجديد ،ويراها يوسف حطيني بأنها " عنصر من العناصر التي لا غنى عنها أبداً " (حطيني ، 2004 ، ص35) ويرى جميل حمداوي بأن " كثير من نصوص القصة القصيرة جدا تعتمد على عنصر المفارقة القائم على التضاد والتقابل والتناقض بين المواقف أو بين ثنائية القولي والفعلي "(الحمداوي ، 2017 ، ص 311) فالمفارقة تقنية مهمة في القصة القصيرة جدا ، إنها تحول التداولي الحياتي إلى معطى لغوي يحمل حمولات متزاحمة، يقترح اقتفاء حساسية الفعل الإنساني في واقع متخم بالمفارقات اليومية

الساخرة ومجالات الحياة المختلفة، فهي توفر لنا فرصة التقاط المفارقات ورسم صورة كاريكاتيرية سريعة نافذة لحالة ما. " وتعد المفارقة لعبة عقلية ذكية من أرقى أنواع النشاط العقلي، إذ هي على الرغم من أنها استراتيجية في الإحباط واللامبالاة وخيبة الأمل؛ إلا إنها في الوقت نفسه تنطوي على جانب ايجابي، فهي سلاح هجومي فعّال، وهذا السلاح هو الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد وليس عن الكوميديا." (عبدو ، 2018) . و" المفارقة تقانة قصصية يهدف القاص من وجودها النصي الخروج على السرد المباشر وهو خروج يبعث على الإثارة والتشويق في أربعة عناصر: (خلف الياس ، 2018.)

1/ وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد: المستوى سطحي ومستوى كامن يلح القارئ على اكتشافه عند إحساسه بتضارب الكلام .

2/ إدراك التعارض أو التناقض بين الحقائق على المستوى الكلي الخاص

3 /التظاهر بالبراءة التي قد تصل إلى حد السذاجة أو الغفلة

4 / لابد من وجود ضحية متهمة أو بريئة أو غافلة، وهذا ما يجعل المفارقة منطوية على المضحك والمبكي معاً.

فالقاص إذن يعتمد في إظهار المفارقة على الموازنة بين نقيضين " فهي تشبه أداة التوازن التي تبقي الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم، تعيد إلى الحياة توازنها عندما تحمل على محمل الجد المفرط، أو لا تحمل ما يكفي من الجد، فهي كما يقول (توماس مان) عن (غوته): إن المفارقة هي ذرة الملح التي وحدها تجعل الطعام مقبول المذاق" (ميويك ، د ت ن ص63).

أظهر السعيد بوطاجين في مجموعته " جلالة عبد الجيب " قدرة كبيرة في تحكمه بآليات كتابة القصة القصيرة جدا واستثمر كل خصائصها وشروطها من قصر الحجم، والإيحاء المكثف، والانتقاء الدقيق، ووحدة المقطع، علاوة على النزعة القصصية الموجزة، والمقصدية الرمزية المباشرة وغير المباشرة، فضلاً عن خاصية التلميح، والاقتضاب، واستعمال النفس الجملي القصير الموسوم بالحركية، والتوتر المضطرب، وتأزم المواقف والأحداث، بالإضافة إلى سمات الحذف والاختزال والإضمار جدّاً، واستثمر كل خصائصها من: الحِكائية وعدم الوقوع في شرَك الشعر، التكثيف، الإيجاز،السخرية ، وقد تواترت المفارقة بشكل ملفت في مجموعته فكانت رهانا واضحا ساهم في بناء معظم القصص التي وقفنا عليها وبينا آليات اشتغالها والآثار الواضحة في خلق جمالية وشعرية هذه النصوص القصيرة جدا .

5. مفارقة العنوان وصورة الغلاف المصاحبة:

يطالعنا بدايةً غلاف المجموعة الذي يشدُ الانتباه ويدخل القارئ في جو من المفارقات منذ الوهلة الأولى، فيفتح عدة قراءات ،ويفرض سلطته من

خلال التشكيل البصري الذي يحمل عديد التناقضات والمفارقات ، ففي جو كئيب وسماء غائمة تتطاير قبعات كثيرة وتتفرق في الأجواء، بينما تظل قبعة جلالته ثابتة على رأس وهمي، فالريح التي طيرت تلك القبعات لم يسعفها هبوبها في تطيير قبعته ولا حتى تحريكها بينما يقف

الجسد المفصول الرأس المتأنق الذي يرتدي لباس الطبقة الارستقراطية في القرون الماضية ممسكا عصاه بكل ثقة وكأن انعدام الروح منحت له حياة أخرى ،ترسل إشارات برفض جلالته التنازل عن كبريائه حتى بعد وفاته . وأنت تلحظ ظلين لجسد واحد في الوقت نفسه، وكأن عبد الجيب بروحين، فصورة الغلاف ستشعرك بالغرابة والدهشة أكثر وهما محركان أساسيان لعنصر المفارقة.

أما على مستوى العنوان الرئيسي جلالة عبد الجيب، فإن هذا التركيب اللغوي المتموقع في الواجهة ليؤدي مجموعة من الوظائف التي من بينها تعريف وكشف ما سيكون في النصوص اللاحقة ، سيكون أيضا علامة سيميائية تمنح دلالات تعريفية أخرى تمكّن العنوان من اكتساب استراتيجية تمارس فعل التواصل مع المتلقي ،هذه الاستراتيجية تستند على التكييف الدلالي والإشاري وعلى المفارقة ، وعنوان المجموعة سيمنح القارئ حق ولوج النص ليكتشف المفارقة العجيبة التي تربط رفعة وسمو الجلالة بعبودية الماديات التي يُعبَّر عنها في ثقافاتنا الشعبية بالجيب فيتفجر العنوان لنفهم أن أهم تيمة دالة في النص هي العبودية المتعلقة بالدنيا التي مارستها الحياة علينا واستسلمنا لها فجلبنا التعاسة والمآسي والأخطاء والأوهام وحتى الموت ، والمفارقة الغريبة هي الاصرار على سجن أنفسنا وافتخارنا بأنا عباد لجيوبنا في الوقت الذي يفترض فيه أن نحقق معنى العبودية المبني على الطاعة والخضوع للخالق عز وجل .إن مفارقة العنوان هنا أعطت أنموذجا من الخطاب الساخر الذي مارسه بوطاجين في مجموعته محققا هدفا واضحا في نقد المجتمع نقدا سياسيا واجتماعيا وثقافيا ،من خلال اللعب على الشيء ونقيضه بمهارة فائقة.

إن البنية السطحية للعنوان القائمة على التناقض قد تشير إلى البنية العميقة المفترضة ،و لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تستوعب ما تحمله المجموعة قبل الغوص في أغوارها ، فلغة المفارقة في المجموعة هي لغة اللا مفهوم ، لغة التشابكات والعلائق ولغة التعقيدات الظاهرة وهذا ما سيفتح المجالات أمام القارئ للتأويلات العديدة التي تمنحه متعة القراءة ،ومتعة اكتشاف الجديد من الأفكار المتخفية خلف المفارقات فيحدث اتصال بين المعنى عند بوطاجين والتأويل عند المتلقي عبر قناة غير مرئية ، بناها التكثيف والإيجاز والسخرية والمفارقة ... الناتجة عن القص القصير جدا .

6. أنماط المفارقة، تمظهراتها وآلياتها في " جلالة عبد الجيب " :

تتزاحم المفارقات بمختلف أنماطها في مجموعة " جلالة عبد الجيب " وكثيرة هي النصوص التي حملت هذه الخاصية ومن أنواع المفارقات التي يمكننا الامساك بها :

1.6 المفارقة اللفظية:

تعد المفارقة اللغوية من أوضح أشكال المفارقة وأبسطها في الإبداع العربي الحديث، وتعد هذه المفارقة "نمطا علاميا أو طريقة من طرائق التعبير يكون المعنى المقصود فيها مخالفا للمعنى الظاهر، وينشأ هذا النمط من كون الدال يؤدي مدلولين متناقضين" (غازي ، 2004 ، ص07) ، ومن أنماطها الفرعية مفارقة السخرية، وقد اشتغل بوطاجين على المفارقة ابتداء من اللفظة وانتهاء بالنص ،ويمكننا البدء من عناوين القصص المعبرة عن هذه الخاصية ، وقد حملت المجموعة كثيرا من العناوين التي أبدت مفارقات لفظية ، واتخذت أشكالا ووجوها مختلفة كاستخدام الصيغ الفعلية في غير وضعها العادي، واجتماع عناصر لا يوجد ما يجمعها، واقتران مسند بمسند إليه غريب عنه: نعت لا علاقة له بالمنعوت أو مضاف لا علاقة له بالمضاف إليه ... فكانت عناوين **اجتمعوا شذر مدر** في نقده للمثقفين ، **والأسئلة المضرة بالبيئة** تعبيرا عن

سلب حق حرية التعبير والدفاع عن االنفسن ، **وكفاصلة بربطة عنق** في حديثه عن المثقف الذي يريد خدمة وطنه ويجازى بالفصل والطرد ، **ومات ثم مرض** في حديثه عن المتقاعس في آداء وظيفته ،**وينهق بالعامية** التي ختم بها مجموعته فألصق صفة النهيق بالحاكم الظالم الذي يلقى خاتمة مأساوية ، ويواصل القاص اسثمار المفارقات اللفظية في نصوصه كما في قصته **أخرج ورقة وكتب** : (بوطاجين ، 2018 ، ص17)

"أطل من نافذة قصره الشاهق فأبصر شيخا مغمى عليه . فكر وقال : المؤمن أخو المؤمن سأساعده بما أوتيت من جاه، كما قال المثل الشعبي : من رأى منكم منكرا فليغيره بقلبه ، وذلك أضعف الايمان . أغلق الأذنين والنافذة والشرفات ، أخرج ورقة وكتب بالفرنسية : اشهد أني أبصرت عبدا يتمرغ مقابل كوخي الصغير المتداعي، ها إني أغير المنكر بالقلم . طوى الورقة وخبأها في خزانته، ثم انتشر على أريكته مطمئنا ليتابع مقابلة في كرة القدم ، غير مكترث بصراخ النجدة الذي زلزل القصر العظيم ".

تمكنت المفارقة أن تمنح في هذه القصة بعدا جماليا أعمق دلالة وأكثر اتساعا؛ لأنها عكست بهذا واقعا يستحق السخرية والتهكم من حاكم يمارس الكذب على نفسه ويستهزئ بشعبه، ذو ثقافة محدودة بعيدة عن أصالة مجتمعه، فثقافته فرنسية لا تهمه صرخات المستضعفين يمارس الإدبار ويستغبي رعيته ويصنع عالما فريدا له ويتركهم في الهم والغم يعيشون . وهنا تؤدي المفارقة وظيفتها الهجائية بسخرية ؛ تهدف إلى إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل ، فتتغير الوظيفة من الدلالية إلى الأسلوبية فالمفارقة هنا لا تهدف إلى إضحاك المتلقّي وإسعاده بل هي ضربٌ من الكوميديا السوداء كما أطلق على هذا جميل حمداوي ف" النصّ المُفارق المبني على السّخرية يعملُ على تصوير الجانب التافه من الحياة بُغية إظهار الجانب الأكثر عمقا "(جاسم ، 2010 ،ص 120)

2.6 المفارقة الدرامية :

تسمى أحيانا مفارقة سوفوكليس نسبة إلى المسرحي اليوناني، لذلك ارتبطت في الأساس بالمسرح مع وجودها في أعمال أخرى "وتكون هذه المفارقة عندما نرى شخصية تتصرف بطريقة تتصف بالجهل بحقيقة ما يدور حولها "(سليمان ، 1999، ص29) كما في قصة **أعزك الله** : (بوطاجين ، 2018 ، ص 22)

"استضاف الحكيم مسؤولا مهما في الدولة وأجلسه على دكة قريبة من الخم ليرتاح من النميمة والكراسي والعطر وأحمر الشفاه .شعر الضيف بانقباض وساخت بداخله سبع معنويات. صبر ساعة وخاطبه مستاء : بيتك مليئ بالطيور والحيوانات ، الجلسة مريحة لولا هذه الدجاجات التي شوهت المنظر أكرمك الله . لم يجبه الحكيم ، وغاب ساعة وجاءه بطبق من اللحم. أكل الرجل المهم بشراهة وطلب المزيد ، ثم مسح فمه بكم القميص وهمّ بالانصراف، فسأله الحكيم ساخرا: هل أعجبك الدجاج المشوي أعزك الله."

المفارقة في بناء هذه القصة تنهض على شخصيتين تخضع إحداهما وهي المسؤول لسخرية واضحة، حين يكسر أفق توقع القارئ من الجهل الذي يعانيه هذا المسؤول الذي بدى في البداية متفهما لما هو فيه ، وهو يخضع للدرس الذي أراد الحكيم تعليمه أياه فشخصية المسؤول تجهل ما يدور حولها تنظر إلى الأمور بظاهرها، وبالمقابل يدرك القارئ ويتابع درس الحكيم ويعلم بالوضعية الحقيقة محل السخرية .

3.6 المفارقة الرومانسية:

يعتقد كثير من النقاد أن " المفارقة الرومانسية قائمة أساسا على بناء وهمي يقيمه المبدع، لكنه

لا يلبث أن ينهار أمام دوامة الواقع القائم. (شبانه ،2002 ، ص151). وبوطاجين استثمر هذا النوع من المفارقات في قصصه الساخرة فبني عالما بعيدا عن الحقيقة غير أنه مربوط بصيغ تركيبية وحقول دلالية جمعت الخير والعطاء لتتهاوى في النهاية على حقيقة كلها متناقضات كما في قصته **الملائكة** (بوطاجين ،2018 ، ص36) .

" قدم الملائكة من الضوء في نهار بارد فوجدوا متسولا متكئا على حائط المدينة المتوحشة. سلموا عليه وقالوا: سنعطيك معطفا وحذاء وشطيرة ونقودا ولا تخبر أحدا. أنت رجل طيب وعيناك وديعتان . نظر إليهم الرجل الطيب بعينين وديعتين وسألهم: من أنتم؟ فأجابوا : نحن ملائكة الرحمن . أسدل عينيه وقال: لا تدخلوا المدينة. الناس ينتظرونكم بالعصي. أقنعهم السلطان بأن الغزاة على مشارف البلدة . حاربوهم ولا تشفقوا على أحد. سيعذبونكم . خذوا المعطف والحذاء والشطيرة والنقود وامنحونا أوبئة كافية. لا مكان للملائكة هنا."

تظهر في هذه المقطوعة القصصية بنية تحمل في طياتها ما يوهم المتلقي بإيجابيات الواقع ومعاني الخير و التكافل والتآزر ، حتى اقتربت القصة من نهايتها ليتغير الواقع فجأة وتنكشف الحقائق وتظهر السلبيات ، حاملة كل معاني الألم والشقاء، فالخيرون يحارَبون من قبل نظراءهم الذين يقبعون تحت خديعة الحاكم الظالم الذي يبيعهم الوهم ويقنعهم في الوقت المناسب أن الهدم سيأتي مع الخيرين الوافدين إليهم ، لتتحرك الشخصية الفاعلة وتبدي النصح بترك الخير وجلب الشر لأن هذا الحيز ما عاد يحتوي الطيبين وهنا قمة التناقض والمفارقة.

4.6 مفارقة التنافر (الأضداد):

يجمع هذا النمط من المفارقة بين المتنافرين في الدلالة اللغوية (الرواشدة ، 1999، ص 15) وتسعى أيضا مفارقة التجاور يعمد فيها القاص إلى مجاورة الأضداد بطريقة تستنفر القارئ وفي مجموعة بوطاجين هذه نعثر على مفارقة متنافرة في العلاقات التركيبية، جمعت الأضداد بطريقة مستفزة ، تأخذ القارئ إلى التفكير بهذا التناقض الذي سيقع في أسره؛ فيدرك حجم التناقض بين العالم الواقع والعالم الذي يحلم هو به؛ وهذا كله لأجل غاية تأثيرية جمالية.كما في قصة **قمل أجنبي** (بوطاجين ، 2018 ن ص 98)

سأله الفضوليون ساخرين: ماذا تفعل في حقلك الهرم ؟ طرح المعول وأجاب: أزرع قملا عالما متحضرا، فعلقوا مستهزئين : أتغرس الداء ونحن نريد الدواء؟ من سهتم بسلعتك؟ فرد مطمئنا أنتم وأشباهكم. بعد أيام حمل مزودا وقصد السوق وضع محصوله على بساط أبيض وصدح : من بشتري قملا مستوردا ؟ ازدحم الناس من حوله متسائلين، فأجابهم باستعلاء بليغ : نوع فرنسي يلذغ المريض فيبرأ من السحر والعين والوسواس والقرينة . تقاتل الناس بالأيدي والسيوف وانقضوا على السلعة ، وهكذا استبدلوا قملهم المحلي بقمل أجنبي ثلاثي الأبعاد.

يكشف النص الكثير من التناقضات باستناده إلى حقول دلالية متنافرة (الداء / الدواء، حمل/ وضع ، المريض/ يبرأ ، محلي / أجنبي...) فالقاص يعالج انفصاما وتناقضات يقبع فيها المجتمع حين يصور تناقضاته بالتخلي عما يملك ويلهث جريا خلف ما لا يملك، بل ويضر ؛لأنه فقط أجنبي مختلف الثقافة والهوية فالمجتمع يعيش حالة من الاستيلاب والغزو الفكري.

5.6 مفارقة السخرية:

يتشكل هذا النوع من خلال موقف يناقض ما ينتظر فعله في النهاية ،فالفعل يكون مغايرا للفكرة التي يجدر بالشخصية القيام بها ، وتتعدد طرائق استخدامها في القصة القصيرة جدا " وليس مهما أن تحضر السخرية في النص فقط

بل المهم أن تترك بصماتها الخاصة بها ، وأن لا يكون الإضحاك رئيسيا ، وإن حملت ظاهرة الإضحاك فإنها تخفي أبعادا مأساوية تنجح في تصوير الفرق بين نموذجين متضادين للحالات التي نعيشها على أرض الواقع " (الحسين،2001 ص 330). ، وغالبا ما تستعمل اللغة بمعاني داخلية غير مرئية تقدَّم لمتلقي متميز خاص ،ومعنى خارجي ظاهر موجه للمخاطَب المقصود بالقول وعادة ما يكون للفعل المؤدى دورا تهكميا، وبوطاجين يستغل السخرية ويمنحها سلاحا للمظلوم على الظالم وللفقير على الغني وللبسيط على السياسي في كثير من قصص مجموعته. " فالنص الساخر هو: الخلطة السرية بين اللغة والمفردة والحكاية الشعبية واصطياد المفارقة في المشهد والخبر والحدوته. سواء أكان هذا النص نكته شفوية أم نصا ساخرا مكتوبا، وإننا نجد في نص: **باطل الأباطيل** (بوطاجين ، 2018 ، ص 45) .

"صنع الراعي عصا وهام بجمالها، ثم فكر وقال لماذا لا أصنع عشرين أو مائة؟ بعد أيام وجد أمامه ربوة من العصي التي تفنن في إبداعها. لكنه لم يعثر على القطيع الذي أحبه كزهرة الماء. فتش عنه في الجبل ووجد عظاما بيضاء مما تبقى من الماشية. حزن وقال: ماذا أفعل بهذه العصي وقد تغذى الذئب وتعشى وغسل أسنانه بالفرشاة وتمطى؟ فأجابه صاحب الشاة والبقرة: باطل الأباطيل ، وبأي شيئ كنت سأجلدك لو أنك لم تصنع كل هذا البهاء".

استخدم القاص السخرية وختمها بالإضحاك غير البريئ مستهدفا تحريك ضمير الراعي غير المسؤول الذي يسُوس رعيته بالقوة والإخضاع والظلم وسلب الحقوق وتكميم الأفواه. ما اضطرهم إلى الخروج عنه ومجابهته ومعاقبته بأساليبه التي مارسها قهرا . إنه الواقع الذي يتكرر على مر العصور. وهنا تحضر المفارقة لتبرز الهوة القائمة بين الحاكم ومحكومه ، بين الآخر (الجلاد) والأنا (الضحية).

7. خاتمة

إن الاشتغال على خاصية مهمة في القصة القصيرة جدا وهي المفارقة، والدخول إلى عمق النّصوص والكشف عن الحوامل الممكنة للمفارقات فيها التي لجأ من خلالها بوطاجين إلى إبراز التناقضات والتعارضات التي ميزت شكل النصوص ، جعلتنا نميز أشكالا عديدة للمفارقة المكثفة القائمةعلى، التضاد والتنافر والرومنسية والسخرية ، حيث تمكن من خلالها القاص من خرق المتوقع ، وتفريغ الذروة رغم غلبة أسلوب السخرية الذي لم يكن هدفه الطرفة ، بقدر ما هو تعميق إحساس وتعبير عن موضوعات شائكة ، تخص راهن المرحلة و الهوية والانتماء ومواجهة الذات .

المراجع :

1- الحمداوي جميل ، (2016) ، **القصة القصيرة جدا وإشكالية التجنيس**، ttps://ketabonline.com/ar/books تاريخ الدخول : 2019/02/22 .

2- مسكين سعاد ،(2011) : **القصة القصيرة جدا: تصورات ومقاربات**، التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط ، المغرب خلف إلياس جاسم ،(2010) ، شعرية القصة القصيرة جداً، دار نينوى، دمشق ، سوريا .

3- الحمداوي جميل ، (2011) ، **من أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جداً (المقاربة الميكروسردية)**، شركة مطابع الأنوار المغاربية، وجدة، المغرب.

4- حطيني يوسف (2014) ، **دراسات في القصة القصيرة جداً**، مطابع الرباط نت، الرباط ، المغرب .

5- مينو محمد محي الدين ، (2012) ، **فن القصة القصيرة، مقاربات أولى**، مسار للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة .

6- أمعضشو فريد، (2012)، **قضايا القصة القصيرة جداً (من النقاد إلى نموذج سعاد مسكين)**، مجلة "كتابات معاصرة"، بيروت ع: 85، ص: 89.

7- الحسين أحمد جاسم ،(2013) ، **القصة القصيرة جداً مصطلحاً ومفهوماً**، مجلة "الإمارات الثقافية"، ع: 20، ص43-54.

8- يوب محمد (2011) ، **في معرفة القصة المغربية المعاصرة** مطبعة سجلماسة، مكناس، المغرب.

9- الحمداوي جميل (2016) ، **حوارات مفتوحة مع جميل حمداوي ، حوارات مفتوحة حول قضايا الأدب والفن والنقد والقصة القصيرةجدا** http://hamdaoui.ma/news.php تاريخ الدخول : 2019/02/18 .

10- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكروم) ، (1997) ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت لبنان .

11- حطيني يوسف ، (2004) ، **القصّة القصيرة جدّاً بين النظرية والتطبيق**.مطبعة اليازجي، دمشق، سوريا.

12- الحمداوي جميل ، (2017) ، **القصّة القصيرة جدّاً والمشروع النظري الجديد المقاربة الميكروسردية**.منشورات المعارف، الرباط، المغرب .

13- عبدو باسم (2018) ، **المفارقة والغرائبية في القصة القصيرة**، باسم عبدو: http://www.aljaml.com تاريخ الدخول : 2018 /01/23

14- إلياس جاسم خلف ،(2018) ، **المفارقة في القصة القصيرة جدا** ، http://www.alnoor. تاريخ الدخول : 2018/ 01/31.

15- ميويك دي سي (د، ت) **المفارقة وصفاتها** ،تر عبد الواحد لؤلؤة ، دار المأمون للطباعة والنشر، بغداد، العراق.

غازي فيصل ،(2004) ، **أنماط المفارقة وآليات تكوينها في مجموعة رائحة** السينما لنزار عبدالستار، ، جريدة مستقبل العراق، ع15، ص 7.

16- بوطاجين السعيد (2018) ، **جلالة عبد الجيب** ، منشورات الاختلاف الجزائر.

17- جاسم محمد ونّان ،(2010) ، **المفارقة في القصص : دراسة في التأويل السّردي**، رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، سوريا.

18- سليمان خالد ،(1999) ، **المفارقة و الأدب** ، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان، الأردن.

19- شبانة ناصر ، (2002) ، **المفارقة في الشعر العربي الحديث** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر عمان ، الأردن .

20- الرواشدة سامح ،(1999) **المفارقة في شعر أمل دنقل** ، د د أربد عمان .

21- الحسين أحمد جاسم ، (2001) ، **القصة القصيرة في سوريا ونقدها في القرن العشرين**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.